﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦﴾ [الزّمر: 56]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بيانُ عاقبةِ نزولِ العذابِ للحثِّ على تجنُّبِهِ بعدَ التَّحذيرِ منهُ

في مناسبةِ الآيةِ لِما قبلَها وجهانِ متقاربانِ: أحدُهما: لمّا خوَّفَهم ﷻ بالعذابِ بيَّنَ ماذا يقولونَ بتقديرِ نزولِهِ بهِم[1]. والآخرُ: لمّا خوَّفَهم سبحانَهُ بالعذابِ ذكرَ علَّةَ ذلكَ؛ فإنَّ للإنسانِ عندَ وقوعِ العذابِ أقوالًا وأحوالًا لو تخيَّلَها قبلَ وقوعِهِ لَباعدَ أسبابَهُ عنهُ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾: (حسر) أصلٌ يدلُّ على كَشْفِ الشَّيءِ[3]، ومِنْ ذلكَ يقالُ: حَسَرْتُ عنِ الذِّراعِ؛ أيْ: كشفتُهُ[4]. والحاسرُ: الَّذي لا دِرْعَ عليهِ ولا مِغْفَرَ[5]، والحَسْرةُ: الغمُّ على ما فاتَ، والنَّدمُ عليهِ؛ كأنَّهُ انكشفَ أمرُ المُتحسِّرِ في جَزَعِهِ وقلَّةِ صَبْرِهِ[6]، أو كأنَّهُ انكشفَ عنهُ الجهلُ الَّذي حملَهُ على ما ارتكبَهُ، أوِ انحسرَتْ قواهُ مِنْ شدَّةِ غمِّهِ، أو أدركَهُ تَعَبٌ مِنْ تدارُكِ ما سبقَ منهُ[7]. والمرادُ بالحَسْرةِ هنا: النَّدامةُ الشَّديدةُ.

2) ﴿فَرَّطتُ﴾: (فرط) أصلٌ يدلُّ على إزالةِ الشَّيءِ مِنْ مكانِهِ وتنحيتِهِ عنهُ[8]، وعلى التَّقدُّمِ، ومنهُ الفارطُ إلى الماءِ، أي: المتقدِّمُ لإصلاحِ الدَّلْوِ، والإفراطُ: الإسرافُ في التَّقدُّمِ، والتَّفريطُ: التَّقصيرُ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 27/ 466، والنّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 10.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 537، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 24/ 24.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حسر).
(4) الجوهريّ، الصّحاح، والزّمخشريّ، أساس البلاغة: (حسر).
(5) الرّاغب، المفردات: (حسر).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حسر).
(7) السّمين، عمدة الحفّاظ: (حسر).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فرط).

فيه[1]، والتَّفريطُ أيضًا: تركُ الشَّيءِ حتَّى يمضيَ وقتُ إمكانِه، ثمَّ يخرجَ إلى وقتٍ يمتنعُ فيه[2]. والمرادُ بالتَّفريطِ هنا: التَّقصيرُ في اللّازمِ[3]، وإهمالُ ما ينبغي أنْ يُقدَّمَ[4].

3) ﴿ٱلسَّٰخِرِينَ﴾: (سخر) أصلٌ يدلُّ على احتقارٍ واستذلالٍ، ومِنْ ذلكَ: تسخيرُ اللّهِ ﷻ الشَّيءَ، وذلكَ إذا ذلَّلَهُ لأمرِهِ وإرادتِهِ[5]، والسُّخريةُ: الاستهزاءُ[6]، وهو المرادُ هنا[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُخبرُ ﷻ عن ندمِ المقصِّرينَ في طاعتِهِ، فيقولُ: امتثِلوا للأوامرِ السّابقةِ؛ لئلّا تقولَ نفسٌ: يا حسرتي على ما ضيَّعتُ مِنْ حقِّ اللّهِ وطاعتِهِ، وقد كنتُ مِنَ المستهزئينَ بالحقِّ وأهلِهِ[8].

بيانُ عاقبةِ الإعراضِ عنِ الحقِّ، وتجرّعِ الحَسراتِ عند الفوات

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ موقعِ ﴿أَن تَقُولَ﴾ الإعرابيّ:

قولُهُ تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ مفعولٌ لأجلِهِ، والتَّقديرُ: (أنيبوا وأسلِموا مِنْ أجلِ أنْ تقولَ نفسٌ...)[9]، أو (كراهةَ أنْ تقولَ نفسٌ...)، أو (أنذَرْناكم مخافةَ أنْ تقولَ نفسٌ...)[10]. أو هو تعليلٌ للأوامرِ الثَّلاثةِ السّابقةِ، على حذفِ لامِ التَّعليلِ معَ (أنْ)، وفيه حذفُ (لا) النّافيةِ بعدَ (أنْ)، والمعنى: لئلّا تقولَ نفسٌ... إلخ[11]. وأيًّا ما كانَ

لا تنفعُ الآهاتُ بعدَ الفواتِ، وقد أعذرَ مَنْ أنذرَ

(1) الراغب، المفردات: (فرط).
(2) الجوهريّ، الصّحاح، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (فرط).
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 538.
(4) النيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 11.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سخر).
(6) الرّاغب، المفردات: (سخر).
(7) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 538.
(8) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 313، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 110.
(9) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 538.
(10) السّمين، الدّر المصون: 9/ 434.
(11) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 44.

ففي الكلامِ بيانٌ لعاقبةِ عدمِ الامتثالِ بالأمرِ؛ لإقامةِ الحُجَّةِ على المخاطَبينَ المأمورينَ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿أَن تَقُولَ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ ﷻ: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾؛ لأنَّ هذا القولَ أمرٌ مستقبلٌ بالنِّسبةِ لزمنِ الأمرِ بالأوامرِ السّابقةِ؛ إذ هذا القولُ مُترتِّبٌ على نزولِ العذابِ بالمخالفينَ التّاركينَ للامتثالِ، ولا شكَّ أنَّ عدمَ الامتثالِ يكونُ بعدَ الأمرِ.

الحَسْرةُ تكونُ حين نزولِ العذابِ، ولاتَ حين متابٍ

غرضُ تنكيرِ لفظِ ﴿نَفْسٌ﴾:

يحتملُ تنكيرُ ﴿نَفْسٌ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ أنْ يكونَ للتَّبعيضِ؛ لأنَّ المرادَ بها بعضُ الأنفُسِ، وهي نفسُ الكافرِ، بدليلِ قولِهِ: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾ [الزمر: 57]؛ لأنَّ هذا لا تقولُهُ نفسٌ مؤمنةٌ[1].

احتمالُ اللّفظِ معانيَ شتّى دليلٌ على بلاغتِهِ وسَعةِ دلالتِهِ

ويحتملُ أنْ يكونَ للنَّوعيَّةِ، والمعنى: أنْ يقولَ صنفٌ مِنَ النُّفوسِ، وهو نفوسُ المشركينَ[2].

ويجوزُ أنْ يكونَ للإفرادِ شخصًا، ويرادَ نفسٌ مُتميِّزةٌ مِنَ الأنفُسِ، وهو الكافرُ الَّذي عُلِمَ منهُ اللَّجاجُ في الكفرِ في الدُّنيا، أوِ الكافرُ الَّذي شوهِدَ تعذيبُهُ الشَّديدُ في الآخرةِ[3]. ويجوزُ أنْ يرادَ التَّكثيرُ على سبيلِ الاستعارةِ؛ لأنَّ التَّنكيرَ غالبٌ في التَّقليلِ، فاستعمالُهُ في التَّكثيرِ مجازٌ، وعلى هذا يكونُ المرادُ بالنَّفسِ جميعَ الأنفُسِ المقصِّرةِ مِنَ المؤمنينَ والكافرينَ[4].

بلاغةُ النِّداءِ في مَطلعِ الجملة:

نداءُ الحَسْرةِ في قولِهِ تعالى: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 136، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 13/ 412.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 45.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 136، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 13/ 412، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 260.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 136، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 13/ 412.

ٱللَّهِ﴾ مِنْ قبيلِ إعلانِ التَّوجُّعِ والتَّفجُّعِ والحزنِ والنَّدمِ، وتوبيخِ النَّفسِ على ما كانَ منها مِنَ الذُّنوبِ الَّتي أوصلَتْها إلى الخلودِ في العذابِ[1]، والمعنى: يا حَسْرتي احضُري، فهذا أوانُكِ؛ فأنا محتاجٌ إليكِ، أي: إلى التَّحسُّرِ، وقد شاعَ ذلكَ في كلامِهم، حتَّى صارَتْ هذهِ الكلمةُ كالمَثَلِ لشدَّةِ التَّحسُّرِ[2].

مخاطبةُ الحَسْرةِ مَثَلٌ على شدَّةِ التَّحسُّرِ

سرُّ النِّداءِ بـ (يا) دونَ غيرِها:

استُعمِلَتْ أداةُ نداءِ البعيدِ (يا) دونَ غيرِها مِنْ أدواتِ النِّداءِ في قولِهِ تعالى: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾؛ للتَّنبيهِ على كمالِ دهشةِ المُنادي، أو لأنَّ الحَسْرةَ لكونِها غيرَ محسوسةٍ كانَتْ بعيدةً[3].

بلاغةُ الاستعارةِ في نداءِ الحَسْرةِ:

في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ استعارةٌ مكنيَّةٌ، بتشبيهِ الحَسْرةِ بالعاقلِ الَّذي يُنادَى ليُقبِلَ، أي: يا حَسْرتي هذا وقتُكِ، فاحضُري، والنِّداءُ مِنْ روادفِ المشبَّهِ بهِ المحذوفِ[4]، وهو العاقلُ، قال ابن منظور: "إذا قال القائل: ما الفائدةُ في مناداة الحسرة، والحسرةُ ممّا لا يجيبُ؟ قال: والفائدةُ في مناداتها كالفائدة في مناداة ما يَعقلُ، لأنّ النّداء بابُ تنبيهٍ، إذا قلتَ يا زيدُ، فإن لم تكن دعوته لتخاطبَه بغير النّداء، فلا معنى للكلام، وإنّما تقول يا زيد لتنبّهَه بالنّداء، ثمّ تقولُ: فعلتُ كذا، ألا ترى أنّك إذا قلتَ لمن هو مقبلٌ عليك: يا زيدُ، ما أحسنَ ما صنعتَ؛ فهو أوكدُ من أن تقول له: ما أحسنَ ما صنعتَ، بغير نداء؛ وكذلك إذا قلتَ للمخاطب: أنا أعجب ممّا فعلتَ، فقد أفدتَه أنّك متعجّب، ولو قلتَ: واعجباه ممّا فعلتَ، ويا عجباه أن تفعل كذا، كان دعاؤك العجبُ أبلغَ في

الحَسْرةُ بمنزلةِ العاقلِ المُنادَى، تعبيرٌ دقيقٌ عنِ المرادِ في السّياق

(1) ابن حسن، التفسير: 12/ 259.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 45.
(3) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 557.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 45.

الفائدة"[1]، وفي استعمال الاستعارة هاهنا فائدةٌ أكيدةٌ، وصورةٌ بديعةٌ تُنبئ عن دقّة الأسلوب القرآنيّ وبلاغته.

توجيهُ القراءاتِ في ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾:

قرأ أبو جعفرٍ: (يا حَسْرتايَ) بياءٍ بعدَ الألفِ، وفتحَها عنهُ ابنُ جمّازٍ، واختُلِفَ عنِ ابنِ وردانَ في الفتحِ والإسكانِ[2]. وتوجيهُ هذهِ القراءةِ: أنَّها على الجمعِ بينَ العِوَضِ - وهو الألفُ - والمُعوَّضِ عنهُ، وهو الياءُ[3]. أو إنَّ المُفرِّطَ لمّا شاهدَ نتيجةَ كمالِ تفريطِهِ فيما يُنجّيهِ مِنْ ذلكَ العذابِ، ونهايةَ خيبتِهِ مِنَ الفوزِ والفلاحِ؛ تضجَّرَ وتفجَّعَ، ومدَّ صوتَهُ، كما يفعلُ الملهوفُ، فنزَّلَ الألفَ منزلةَ نفسِ الكلمةِ، وألحقَ حرفَ الياءِ المُعوَّضَ بهِ، أو أنَّهُ مِنْ هَوْلِ ذلكَ اليومِ ذَهَلَ فلم يَدْرِ ما يقولُ[4]. ويحتملُ أنْ تكونَ تثنيةُ الحَسْرةِ مبالغةً، على لغةِ إبقاءِ المثنَّى على الألفِ في الأحوالِ كلِّها، والمرادُ حَسْرةُ فَوْتِ الجنَّةِ، وحَسْرةُ دخولِ النّارِ، واعتبارُ التَّكثيرِ مناسبًا لكثرةِ حَسَراتِهم يومَ القيامةِ[5]. وقرأ الباقونَ: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ على الأصلِ[6]، والألفُ عِوَضٌ عن ياءِ المُتكلِّمِ[7].

شدَّةُ ذُهولِ المُفرِّطِ وحسرتِه تعبيرٌ بليغٌ عنِ الحرجِ والنّدمِ

نكتةُ التَّعبيرِ بالحرفِ ﴿عَلَىٰ﴾:

يحتملُ أنْ تكونَ ﴿عَلَىٰ﴾ في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾ تعليليَّةً بمعنى الباءِ، أي: يا حَسْرتا بما قصَّرتُ[8]، أي: بسببِ ما قصَّرتُ. ويحتملُ أنْ تكونَ ﴿عَلَىٰ﴾ للاستعلاءِ، وتعديةُ الحَسْرةِ بها؛ للدَّلالةِ على تمكُّنِ التَّحسُّرِ مِنْ مدخولِ ﴿عَلَىٰ﴾[9]،

حَسْرةُ المُفرِّطِ على تفريطِهِ تصويرٌ لحالِه في مآلِه

(1) ابن منظور، لسان العرب: 4/ 189.
(2) النّشر، القراءات العشر: 2/ 363.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 137، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 538.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 13/ 413.
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 272.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 260.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 45.
(8) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 46، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 558.
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 45.

وكأنَّ التَّحسُّرَ على التَّفريطِ قد كَثُرَ حتَّى غَمَرَ التَّفريطَ مِنْ جميعِ الجوانبِ، واستعلَى عليهِ.

معنى الأداة ﴿مَا﴾:

بيانُ أنّ التَّفريط هو المُتحسَّرُ عليهِ

الظّاهرُ أنَّ ﴿مَا﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾ مصدريَّةٌ، والمعنى: على تفريطي[1]، ونكتةُ تركِ التَّعبيرِ بالمصدرِ: أنَّ التَّعبيرَ بالفعلِ والفاعلِ أصرحُ في إسنادِ التَّفريطِ إلى المُتحسِّرِ وأفخمُ[2]. ويجوزُ أنْ تكونَ ﴿مَا﴾ موصولةً، والتَّقديرُ: على ما فرَّطتُهُ[3].

بلاغةُ التَّعبيرِ بلفظِ (التَّفريطِ):

فَواتُ أوانِ تدارُكِ التَّقصيرِ خيبةٌ في المصيرِ

عُبِّرَ بالتَّفريطِ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾؛ لدلالتِهِ على التَّقصيرِ والتَّضييعِ معَ فَواتِ أوانِ التَّدارُكِ، فيكونُ ملائمًا لمقامِ إظهارِ النَّدمِ، ولِما فيه مِنَ الإشارةِ اللَّطيفةِ إلى انفراطِ نظامِ أمرِ المُتحسِّرِ كانفراطِ العِقْدِ[4].

نكتةُ الماضي في ﴿فَرَّطتُ﴾:

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ التَّفريطِ، وفي ذلكَ زيادةٌ في التَّحسُّرِ؛ إذ فَواتُ وقتِ الطّاعةِ قد تُيُقِّنَ.

معنى الحرف ﴿فِي﴾:

التَّفريطُ في جَنْبِ اللهِ مُستشنعٌ قبيحٌ

يجوزُ أنْ تكونَ ﴿فِي﴾ الدّالَّةَ على الظَّرفيَّةِ، في قولِهِ تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾، لتعديةِ فعلِ ﴿فَرَّطتُ﴾، فلا يكونُ للفعلِ مفعولٌ، ويكونُ المُفرَّطُ فيه هو جَنْبَ اللّهِ. ويجوزُ أنْ تكونَ ﴿مَا﴾ في ﴿مَا فَرَّطتُ﴾ موصولةً، وفعلُ ﴿فَرَّطتُ﴾ متعدٍّ بنفسِهِ، والمفعولُ محذوفٌ، وهو الضَّميرُ المحذوفُ العائدُ إلى الموصولِ، والمجرورُ

(1) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 188، والسّمين، الدّر المصون: 9/ 435.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 538.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 45.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 538.

بـ﴿فِي﴾ حالٌ مِنْ ذلكَ الضَّميرِ، أي: كائنًا ما فرَّطتُهُ في جَنْبِ اللّهِ[1]. وأيًّا ما كانَ ففي الكلامِ بيانُ أنَّ هذا المتحسِّرَ قد بالغَ في التَّفريطِ فيما لا ينبغي التَّفريطُ بِهِ، وهو جَنْبُ اللّهِ.

سرُّ التَّعبيرِ بلفظ (الجَنْبِ):

تفريطُ المتحسِّرِ في حـقِّ اللـهِ وطـاعـتِـهِ مبينٌ عنِ المُرَاد

يحتملُ أنْ يكونَ الجَنْبُ في قولِهِ تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾، مستعارًا للشَّأنِ والحقِّ، أي: شأنِ اللّهِ وحقِّهِ، تشبيهًا لذلكَ بمكانِ السّيِّدِ وحِماهُ إذا أُهمِلَ حتَّى اعتُدِيَ عليهِ أو أقفرَ[2]. ويحتملُ أنْ يكونَ المعنى: على ما فرَّطتُ في حقِّ اللّهِ، والتَّركيبُ مِنْ بابِ الكنايةِ[3]؛ لأنَّ مَنْ ضيَّعَ جهةً ضيَّعَ ما فيها[4]. ويحتملُ أنْ تكونَ جملةُ ﴿فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ تمثيلًا لحالِ النَّفسِ الَّتي أوقفَتْ للحسابِ والعقابِ بحالِ العبدِ الَّذي عَهِدَ إليهِ سيِّدُهُ بحراسةِ حِماهُ ورعايةِ ماشيتِهِ، فأهملَها حتَّى رُعيَ الحِمى، وهلكتِ المواشي، وأُحضِرَ للعقابِ، فيقولُ: يا حَسْرَتا على ما فرَّطتُ في جَنْبِ سيِّدي. وعلى هذا الوجهِ يجوزُ إبقاءُ الجَنْبِ على حقيقتِهِ؛ لأنَّ التَّمثيلَ يعتمدُ تشبيهَ الهيئةِ بالهيئةِ[5].

بلاغةُ الإضافةِ في قوله ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾:

جَنْبُ اللهِ عظيمُ الشَّـأنِ عميقُ المعاني

أُضيفَ الجَنْبُ إلى لفظِ الجلالةِ في قولِهِ تعالى: ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾؛ لتعظيمِهِ، وزيادةِ تقبيحِ شأنِ المفرِّطِ؛ لأنَّهُ فرَّطَ فيما لا ينبغي التَّفريطُ بِهِ، وهو جَنْبُ اللّهِ تعالى العظيمِ الشَّأنِ، ولذلكَ عُبِّرَ بلفظِ الجلالةِ دونَ غيرِهِ مِنَ الأسماءِ الحُسنى[6]. ومُفادُ الحالِ: "أنْ تَقولَ في حلولِهِ وألمامِهِ نَفْسٌ وازرةٌ منكم مقصّرةٌ عنِ الإنابةِ والرّجوعِ،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 46.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 46.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 137، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 46.
(4) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 345.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 46.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 538.

حين حلولِ العذاب عليها، يا حَسْرَتى، ويا ندامتا، على ما فَرَّطْتُ وقصّرتُ في جَنْبِ اللّه ورعايةِ جانبِه وحقّه في إطاعته وانقياده"[1].

معنى الواوِ في ﴿وَإِن كُنتُ﴾:

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ للحالِ، والجملةُ في محلِّ نصبٍ على الحالِ، كأنَّهُ قالَ: فرَّطتُ في جَنْبِ اللّهِ وأنا ساخرٌ، أي: فرَّطتُ في حالِ سُخريَتي[2]. ويحتملُ أنْ تكونَ الواوُ للاستئنافِ، والجملةُ إخبارٌ مِنَ المُفرِّطِ عن نفسِهِ بما كانَ عليهِ في الدُّنيا[3]. وأيًّا ما كانَ ففي الكلامِ زيادةُ تقبيحٍ لشأنِ المفرِّطِ بأنَّ تفريطَهُ كانَ مقرونًا بالسُّخريةِ، فلم يكتفِ بالتَّفريطِ بالحقِّ، بلِ استهزأ بهِ أيضًا، فتفريطُهُ تفريطُ السّاخرِ، لا تفريطُ الغافلِ[4].

تفريطُ المتحسِّرِ، مقرونٌ بالسُّخريةِ والهُزء

بلاغةُ استعمالِ الخبرِ في الإنشاءِ:

جملةُ ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ خبرٌ مُستعمَلٌ في إنشاءِ النَّدامةِ على ما فاتَ النَّفسَ مِنْ قَبولِ ما جاءَها بهِ الرَّسولُ ﷺ مِنَ الهُدى، فكانَتْ تسخرُ منهُ، وتستهزئُ به[5].

ندمُ المفرِّطِ على سُخريتِهِ مِنَ الحقِّ، مآلٌ لكلِّ مُفرّطٍ في جنب الحقّ

بلاغةُ التَّأكيدِ في السّياق المجيد:

(إنْ) في قولِه تعالى: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾، مخفَّفةٌ مِنَ الثَّقيلةِ، واللّامُ فارقةٌ بينَ (إنْ) المخفَّفةِ و(إنْ) النّافيةِ[6]، فالكلامُ مشتملٌ على التَّأكيدِ، والغرضُ مِنْ هذا التَّأكيدِ تحقيقُ وتقريرُ حصولِ السُّخريةِ، ودفعُ توهُّمِ أنْ يكونَ المعذَّبُ المقهورُ، يبالغُ في الاعترافِ؛ رجاءَ العفوِ عنهُ[7].

سُخريةُ المفرِّطِ مِنَ الحقِّ ثابتةٌ وعليها كان عقابُه الأكيدُ

(1) علوان، الفواتح الإلهية: 2/ 251.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 27/ 467.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 214.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 46.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 46.
(6) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 11، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 47.
(7) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 538.

سرُّ التَّعبيرِ بفعلِ الكونِ الماضي:

عُبِّرَ بفعلِ الكونِ الماضي، في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ السُّخريةَ كانَتْ في طبعِ المفرِّطِ في جَنْبِ اللهِ[1]، وأنَّهُ كانَ حريصًا عليها.

دلالةُ الحرف (مِنْ) في السّياق:

(مِنْ) في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ للتَّبعيضِ، فتفيدُ أنَّ المفرِّطَ بعضُ السّاخرينَ، وهو منخرِطٌ في سِلْكِهم، ومندرجٌ في زُمْرتِهم.

سرُّ التَّعبيرِ بقوله ﴿لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾:

مَـنْ كـانَ مِـنَ السّاخرينَ، فهو أحمقُ مَهينٌ

مُقتضَى الظّاهرِ أنْ يقالَ: (وإنْ كنتُ لساخرًا)، لكنْ عُدِلَ عنهُ إلى قولِهِ تعالى: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾؛ لأنَّهُ أبلغُ في الدَّلالةِ على اتِّصافِ النَّفسِ بالسُّخريَةِ[2]؛ إذ معناهُ: وإنْ كنتُ مِنَ الفئةِ الَّتي يَصدُقُ عليها هذا الوصفُ، وهو السُّخريةُ، وإذا كانتِ النَّفسُ مِنَ الفئةِ السّاخرةِ فهي ساخرةٌ أيضًا بطريقِ الكنايةِ الَّتي هي أبلغُ مِنَ التَّصريحِ. يضافُ إلى ذلكَ أنَّ في قولِهِ تعالى: ﴿لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ مراعاةً لتلاؤمِ فواصلِ الآياتِ.

سرُّ التَّعبيرِ بالسُّخريةِ:

المـفـرِّطُ عـدوٌّ للحقِّ وأهلِهِ

عُبِّرَ بالسُّخريةِ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾؛ لِما تدلُّ عليهِ هذهِ الكلمةُ بحسَبِ وضعِها اللُّغويِّ مِنَ القَهْرِ والإذلالِ، فتشيرُ إلى أنَّ المفرِّطَ كانَ يطلبُ باستهزائِهِ بالحقِّ إذلالَ أتباعِهِ وقَهْرَهم، وفي ذلكَ ما لا يخفَى مِنْ تقبيحِ حالِهِ الَّذي استوجبَ ما هو فيهِ مِنَ الوَيْلاتِ والحَسَراتِ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 539.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 47.

غرضُ حذفِ مُتعلَّقِ السُّخريةِ:

قولُهُ تعالى: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ معناهُ: وإنْ كنتُ لَمِنَ المستهزئينَ بدينِ اللهِ تعالى وأهلِهِ[1]، وقد حُذِفَ متعلَّقُ السُّخريةِ إيجازًا؛ لظهورِهِ مِنَ السّياقِ، ومراعاةً لتلاؤمِ الفواصلِ.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 260.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 50 ، 822 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-81-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-81-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»